أبو العلاء المعري[1]

ثِقةَ الدهورِ وحجَّـةَ الأزمانِ خذْ من يانِكَ ذمّةً ليانِي
أُعيي القريضَ فانْ بلغتُكَ خانني قلمي وعيَّ عن المقالِ لساني
رعت القياصرَ والملوكَ وراعني ما فيك وحدَك من جلالِ الشانِ
لكَ في الملوكِ الخالدين على البلى أسمى العروشِ وأثمنُ التيجانِ
تهوي الأسرَّةُ والممالكُ تنقضي وسريرُ ملكِكَ راسخُ الأركانِ
مُلْكٌ عليهِ من الخلود سرادقٌ فخمٌ يهابُ جلالَهُ الملوانِ
تهوي جبابرةُ الخطوبِ حيالَهُ صرعى منكّسةً على الأذقانِ
وترى الدهورَ اذا مررنَ بساحهِ فوضى الخُطى يعثرنَ بالحَدثانِ
يدلفنَ من كبرٍ وفرط كهولةٍ وشبابُ مجدكَ دائمُ الرَّيعانِ
تبني العقولُ وترفعُ الأيدي وما يسطيعُ شأوَكَ رافعٌ أو بانِ
صدع الزلازلَ ما بنيتَ وهدَّها ما للزلازلِ بالبروجِ يدانِ
أدركتَ أسرارَ الوجود وجُزتَها ترتادُ أسرارَ الوجودِ الثاني
تدنو فتبعدُ والمخاوف جمَّةٌ والحجبُ شتَّى والحتوفُ دوانِ
تهتاج ان ومضت فان هيَ أمسكت زادتكَ أشجاناً على أشجانِ
صانعتَ شاردَها فقلنا عاشقٌ طربٌ يصانعُ شاردَ الغزلانِ
وشكوتَ هاجرَها فقالوا كاشحٌ ظلموكَ ! تلكَ سجيةُ الولهانِ

(١) هو الشاعر الشهير أبو العلاء احمد بن عبدالله القضاعي المعرّي التنوخي ولد سنة ٩٧٣ م في معرّة النعمان بالقرب من حماة في بلاد الشام ، وأصيب بالجدري فعمي ، وعاش في حلب وبغداد مدةً طويلةً ثمّ رجع الى بلدته المعرّة . وتوفي سنة ١٠٥٧ م . جمع ما قاله من الشعر في شبابه في ديوان سماه « سقط الزند » وشرحه وسمى الشرح « ضوء السقط » وله ديوان آخر كبير سماه « اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم » وكتاب « الايك والغصون » وهو المعروف بالهمزة والردف ، ولأبي العلاء آراء فلسفية ونظرات اجتماعية مشهورة

جهلوا مرادَك ، والعقولُ مراتب　　والناسُ بالألباب والأذهانِ

* * *

اكبرت رزء العقل حينَ رأيتهُ　　رهنَ العمى وغضبت للانسان
تجري الأمورُ وليسَ يعلمُ كنهها　　وهو المراد بهذهِ الأكوانِ
ويقالُ أعمى في الحياةِ وبعدَها ،　　والدينُ والدنيا لهُ عينانِ
كلٌّ له ذكرى وكلٌّ عِبرةٌ　　تجلو اليقينَ وصادقَ الايمانِ
فلئن حجبت عن الغيوبِ فانها　　لله ذي الجبروتِ والسلطانِ
أعلى لكَ الغرُفاتِ يومَ لقيتَهُ　　وحباكَ ما تبغي من الرضوانِ
فرأيتَ منزلَهُ العظيمَ وأجرهُ　　وحمدت عُقبى العلم والعرفانِ

* * *

شغفتْ بكَ الدنيا تُريدكَ دامقاً　　وشغفت بالإعراضِ والهجرانِ
تجلو زخارفَها فتُغمضُ دونها　　عينَ الحكيم وتنثني بأمانِ
فتنت محاسنُها العقولَ ولم تزل　　في حيرةٍ من عقلكَ الفتانِ
صارمتَها وكشفتَ عن سوآتها　　ليُفيقَ مختبلٌ ويقصرُ عانِ
وصددت عن صلفِ الملوكِ وكبرهم　　متعالياً عن ذِلّةٍ وهوانِ
أغناكَ عن آلائهم وهباتهم　　أنَفُ الشريفِ وعفّةُ المتغاني
ورضيتَ بيتَكَ هازئاً بقصورهم　　وجليلِ ما رفعوا من البُنيانِ
بيتٌ أناف على الكواكبِ رفعةً　　فدنا يمسّحُ ركنَهُ القمرانِ
لم يحكهِ كيوانُ في علیائهِ !　　بيتُ الحكيمِ أجلُّ من كيوانِ
لو رُدَّ كسرى أو تأخرَ عصرُهُ ،　　فأذنتَ ، حجَّ اليكَ بالايوانِ
لو كنتما منّي بحيثُ أراكما　　لَلثمتُ تربَكما اذاً فشفاني
فحمدتما في الظالمينَ ضراعتي　　ورفعتما في الخالدينَ مكاني

خيرُ المناسك حلَّ حيث حللتما للناسكين وأنتما الحرَمانِ

* * *

أوتيتَ من أخلاقِ ربِّكَ رحمةً لم يُؤتها بشرٌ وفرطَ حنانِ
أشفقتَ من وطءِ التراب على الأُلى غالَ الترابُ وكلُّ حيٍّ فانِ
يمشي الفتى يختالُ فوقَ رفاتهم جذلانَ فعلَ الشاربِ النشوانِ
الجوُّ أرواحٌ تفيضُ وأنفسٌ والأرضُ من رمَمٍ ومن أكفانِ (١)

* * *

عفتَ الأذى ونهيتَ عن مكروهِهِ وأمرتَ بالمعروفِ والاحسانِ
ورحمتَ حتى الوحشَ في فلواتها وحميتَ حتى الطيرَ في الأوكانِ
ورثيتَ للشاكين من بلوائهم فحملتَ ما حملوا من الأحزانِ
ومسحتَ دمعَ النائحاتِ معزياً فكففنَ عن نوحٍ وعن إرنانِ
ونسينَ من هولِ الفجائع ما مضى وسلَونَ بعد تعذّر السلوانِ
شرعٌ بعثتَ بهِ ودينٌ لم تقمْ فيهِ لغير الواحدِ الدّيّانِ

* * *

بوركتَ في دينِ المسيح واحمدٍ ومُدحتَ في الانجيلِ والقرآنِ
الشرقُ معتزٌّ بفضلكَ معجَبٌ والغربُ مغتبطٌ بذكرك هاني
إملأْ بحكمتكَ المسامعَ والنُهى واحكمْ فما شيءٌ سوى الاذعانِ
ما زلتَ من قبلِ المماتِ وبعدِهِ شيخَ النُهى وحكيمَ كلِّ زمانِ
الأرضُ حافلةٌ كعهدِكَ بالأذى والناسُ فوضى والحياةُ أماني

احمد محرم

(١) في هذه الأبيات اشارة الى قوله المعرّي :

ربَّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد
خفف الوطءَ ما أظن أديـ ـم الأرض الا من هذه الاجساد